# النتنوغرافيا نحو مقاربة منهجية حديثة للبحث في البيئة الرقمية إطلالة مفاهيمة

# *The Netnography , Modern Methodologique Approach to Research in the Digital Environment Conceptual approach*

**رابح صانع** *
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة- (الجزائر) sana.rabah@univ-ouargla.dz
**عمر ناصرباي**
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة- (الجزائر) nacerbey.omar@univ-ouargla.dz

تاريخ الإرسال: 05/28 / 2025* تاريخ القبول 2025/06/02 * تاريخ النشر: 04/ 06 /2025

**ملخص:**

هدفت الدراسة للتعرف على الاثنوغرافيا الرقمية كمقاربة منهجية وطريقة للبحث لتفسير الظواهر الاتصالية في البيئة الرقمية والمجتمعات الافتراضية، والتي كانت نتاج لانتشار استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على نطاق واسع في أغلب دول العالم.

تناول البحث مفهوم الاثنوغرافيا وظهورها وتطور استخدامها في بحوث علوم الإعلام والاتصال، وانتقال توظيفها في تفسير الظواهر الاتصالية في المجتمعات الافتراضية التي يتم تشكيلها عبر شبكات التواصل الاجتماعي، مع تحديد منهجية البحث الاثنوغرافي الرقمي وأدواته ومراحله وأهم الانتقادات التي وجهت لاستخدامه في مجال علوم الإعلام والاتصال.

**الكلمات المفتاحية:**

اتصال ؛ اثنوغرافيا ؛ اثنوغرافيا رقمية ؛ مجتمعات افتراضية ؛ منهج اثنوغرافي.

***Abstract:***

*The study aimed to identify digital ethnography as a methodological approach and method of research to explain communication phenomena in the digital environment and virtual communities, which were the result of the widespread use of social media networks in most countries of the world.*

*The study touched on the concept of ethnography, its emergence, the development of its use in media and communication sciences research, and the transition to its use in explaining communicative phenomena in virtual communities that are formed through social media networks, while defining the methodology of digital ethnographic research, its tools and*

* **صانع رابح**

*stages, and the most important criticisms directed at its use in the field of media and communication sciences.*

***Keywords:***

*communication ; Digital Ethnography; Ethnography; Ethnographic method; Virtual communities.*

**مقدمة:**

نشأت الاثنوغرافيا في العالم الغربي المستعمر كمنهج بحث قديم نوعا ما لدراسة ثقافات مختلفة عن المجتمع الغربي، والتي لم يكن بالإمكان دراستها من خلال أدوات ومناهج البحث العلمي المستخدمة آنذاك، وعليه توجب استخدام أسلوب أعمق لتحليلها والوصول إلى نتائج دقيقة وصادقة.

عرفت تكنولوجيا الإعلام والاتصال تطورا كبيرا في السنوات الأخيرة الماضية أفضى إلى ظهور وسائل اتصال حديثة وممارسات وتفاعلات اجتماعية وثقافية جديدة، بل أنتجت ظواهر اتصالية جديدة كليا تحدث بطرق غير مسبوقة. سمحت الوسائل الحديثة للاتصال المرتبطة بشبكة الانترنت بالوصول إلى المعلومة بطرق أسهل كما منحت إمكانية مشاركتها وتعديلها في أوقات قياسية، كما أتاحت الأجيال المتعاقبة للانترنت إمكانية التواصل بين أفراد من ثقافات متباينة ومتباعدة مكانيا عبر وسائط التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة والمجتمعات الافتراضية، مما أنتج تفاعلات وممارسات اجتماعية جديدة عجزت المناهج الامبريقية (الكمية ) المستخدمة في دراسة الجمهور عن تفسيرها بالعمق الكافي لفهم مكنوناتها وتحليل أغوارها.

يتم الاعتماد على المنهج الاثنوغرافي لدراسة التفاعلات الاجتماعية والثقافات المختلفة عن الثقافة السائدة، مما يجعله المنهج المناسب لدراسة سلوك الأفراد في البيئات الرقمية، والفضاءات الافتراضية ومواقع التواصل الاجتماعي والفضاءات الالكترونية، التي أصبحت تشكل جزءا معتبرا من الممارسات اليومية والاجتماعية لعامة الأفراد، حتى عبر العديد من الاثنوغرافيين على غرار رونالد هاليت وكريستيان باربار Ronald Hallett and Kristen Barber أنه من الغير الممكن الحديث عن تطور وممارسة الاثنوغرافيا بعيدا عن الانترنت.

ونتيجة للاهتمام بالاثنوغرافيا عبر الانترنت ظهرت لها العديد من المسميات منها الاثنوغرافيا الافتراضية virtual ethnography ، والاثنوغرافيا على الانترنت Internet ethnography، الإثنوغرافيا السيبرانية cyber-ethnography الاثنوغرافيا الرقمية digital ethnography، الاثنوغرافيا الموسعة expanded ethnography و اثنوغرافيا العالم الافتراضي ethnography of the virtual worlds **(**Caliandro. 2017.p2-6**)** وغيرها من التسميات ، مما يجعلها منهجا مرنا يتكيف مع التغيرات المتسارعة والمستمرة للبيئة الرقمية .

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية إظهار مدى مناسبة البيئة الرقمية خاصة مع الاستخدام المكثف لمنصات التواصل الاجتماعي لازدهار البحوث الاثنوغرافية ومدى قدرة هذه الأخيرة على استكشاف وتحليل الممارسات اليومية لتفاعلاتهم الإنسانية والاجتماعية والاتصالية عبر تعقيدات المجتمعات الافتراضية التي ينتمون إليها.

**كيف يمكن توظيف الاثنوغرافيا الرقمية كمقاربة منهجية لتفسير الظواهر الاتصالية في البيئة الرقمية والمجتمعات الافتراضية؟**

## 1. مدخل مفاهيمي للاثنوغرافيا

### 1.1. مفهوم الاثنوغرافيا:

ينقسم مصطلح الاثنوغرافيا في اللغة اللاتينية من قسمين ، **Ethnos** وتعني أقلية أو جنس أو فئة أوعرق، و **Grapho** معناها الوصف والكتابة، وعليه ينصب اهتمام الاثنوغرافيا على وصف ثقافة وحياة الشعوب ، كما تعني الدراسة المنهجية للبشر والثقافات بهدف استكشاف الظواهر الثقافية من منظور المبحوثين(السلطان،2015).

ظهر لأول مرة مصطلح الاثنوغرافيا سنة 1607 للإشارة لمجموعات النشر، واستخدم في روسيا للتعبير عن "دراسة الشعوب" و في بريطانيا يسمونها " الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية "، أما في ألمانيا فيتم اعتماد مصطلح **Volkstunde** للدلالة على "دراسة الشعب الألماني" و **Volkerkunde** بمعنى "دراسة الشعوب الأجنبية" (دهان،2017، ص32).

عرفت الاثنوغرافيا تطورا وازدهارا بعد الثورة البلشفية في روسيا نتيجة للتوسع في أوروبا الشرقية، أين سخرت الدولة الاشتراكية الإمكانيات لإجراء البحوث، وتم إنشاء معهد للاثنوغرافيا في إطار أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي، وأسست مجلة " الاثنوغرافيا" سنة 1923 ، كما أصبحت فكرة الإثنية تدل على تصور الثقافة من جهة والشأن الإثني من جهة أخرى.(حيزير، 2018، ص272)

يعود الاعتماد على المنهج الاثنوغرافي عند الغرب إلى أواخر القرن 19 وبداية القرن العشرين، ومن أوائل المؤلفين المهتمين بها مالينوفسكي وبرونيسلوكي، والأنثربولوجي الإنجليزي أوورد كليف براون. ويعتبر مالينوفسكي أول من اعتمد عليها كمنهج للدراسة ووضع أسسه في كتابه "مغامرو المحيط الباسيفيكي الغربي".

أما في فرنسا فقد نشر "مارسال موس "- بعد الحرب العالمية الثانية – كتاب بعنوان " كتيب الاثنوغرافيا" سنة 1947، كما نشر "غرويل " كتاب "المنهج الاثنوغرافي " 1957، في حين اعتبر في الو م أ أن الاثنوغرافيا مهمتها توفير البيانات وجمع المعلومات للانثروبولوجيا لتقزم هاته الأخيرة بتحليلها.

انتقلت الاثنوغرافيا باعتبارها تهتم بدراسة ثقافة الشعوب من الانثروبولوجيا إلى فروع معرفية أخرى ومنها الاعلام والاتصال، وتعتمد على نموذج كيفي في الوصف والتحليل بطريقة استقرائية، من خلال جمع بيانات كثيرة ومكثفة من عدة متغيرات في فترة زمنية طويلة نوعا ما و في وضع طبيعي أثناء وقوعها بالفعل. (قطيط، 2021، ص151).

عرفها **Brewer** في كتابه الموسوم ب "الاثنوغرافيا" بأنها " العلم الذي يدرس الناس في أماكنهم الطبيعية أو ما يسميهم الحقول، عن طريق أدوات تلتقط مختلف المعاني والممارسات اليومية التي يكون فيها الباحث مشاركا عن كثب، بغية جمع البيانات بطريقة منهجية دون أن يتدخل في تغيير معانيها. (حيزر، 2018،ص 274).

### 2.1. الاقتراب المفاهيمي من المنهج الاثنوغرافي :

يرى زيتون (2006،ص306) أن الاثنوغرافيا منهج علمي لدراسة ووصف الواقع واستنتاج الدلائل والبراهين من الملاحظة والمشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة، وعليه يشترط هذا المنهج على الباحث المعايشة

الفعلية للمبحوثين في الميدان لجمع البيانات وتدوين الملاحظات والمشاهدات اليومية وإجراء مقابلات مع المبحوثين وتحليل الوثائق.

وعليه ترتكز الاثنوغرافيا على معايشة المجتمع المبحوث والتفاعل مع أفراده في الحالة الطبيعية بشكل يسمح بجمع أكبر قدر من المعلومات والبيانات، وتدوين المشاهدات والمعلومات المنبثقة عن المقابلات التي يجريها الباحث مع المشاركين وتحليل الوثائق، ومنه فإن البحث الاثنوغرافي بحث نوعي يتطلب فترة طويلة من الزمن- قد تمتد لسنوات - تمكن الباحث من التعرف الجيد على مجتمع البحث وكسب ثقة المبحوثين.

نقلا عن دهان (2017، ص 33) عرف سميت وديلامونت المنهج الاثنوغرافي على أنه " الطريقة التي يتم من وصف ثقافة مجتمع ما " ، وأكد على ضرورة القيام بالدراسة في السياق والوضع الطبيعي، أين يقوم الباحث بجمع البيانات أو الصور أو الشهادات، ثم يحللها بطريقة استقرائية مع التركيز على المعاني التي يذكرها المبحوثون.

ويعتبر المنهج الاثنوغرافي بأنه من المناهج الكيفية التي نعتمدها لدراسة حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناؤها من خلال وجهات نظر المشاركين في البحث (المبحوثين)، ويتجه الباحث إلى العينة المقصودة ويتفاعل معها لجمع البيانات عبر الملاحظة بالمشاركة والمقابلات العلمية المعمقة وتحليل الوثائق بمختلف أنواعها، مما يسمح له من الكشف عن الواقع بعمق وشمولية لقربه من المبحوثين وتفاعله معهم.

من الناحية المنهجية قد يختلف البحث الاثنوغرافي عن بقية البحوث، كونه أكثر مرونة فلا يحتاج إلى وضع أسئلة البحث المسبقة التي تقيد الباحث، كما لا يعتمد على فرضيات مسبقة، فهو يستقصي ويكشف حسب "مايلز " و"هوبرمان" كل ما هو " غير متوقع، أو مسكوت عنه، أو مستور. ( Miles & Huberman .1999.p15)

وعليه يمكن القول أن الاثنوغرافيا ليست عملية استكشاف ساكنة، وإنما هي عملية اكتشاف ديناميكي ومستمر ومتجدد، نتيجة التفاعل بين العمليات والسياقات والنظم الثقافية والاجتماعية، مما يوفر معلومات أعمق ورؤى أكثر قدرة على تحليل السلوكيات ودلالاتها، وعليه تدرس الاثنوغرافيا المحددات الثلاث التالية:

- **السياقات الاجتماعية الثقافية**: كشبكات العلاقات غير الرسمية، التاريخ المشترك للأفراد في جماعة أو مؤسسة، المؤسسة وعلاقتها بمحيطها الأوسع...
- **العمليات الاجتماعية الثقافية:** تفاعل الأفراد مع النظم الاجتماعية التي يعيشون ضمنها، أساليب تحقيق أهدافهم وإشباع احتياجاتهم.
- **المعاني الاجتماعية الثقافية:** كنمط العلاقات الاجتماعية، المعاني والدلالات المستخدمة في التفاعل مع المحيط الاجتماعي.

### 3.1. خصائص المنهج الاثنوغرافي:

تعتبر الاثنوغرافيا بأنها نمط من البحوث التي تقوم على ملاحظة ووصف الناس في السياق الاجتماعي الطبيعي، وعليه يمكن تحديد أهم خصائص المنهج الاثنوغرافي كما يلي: (قطيط،2021،ص145)

- يهدف البحث الاثنوغرافي لفهم السلوك الإنساني دون تحكم مقصود أو غير مقصود في المشاركين والمبحوثين.
- يتم تطبيقه في المواقف الطبيعية بدراسة السلوك الإنساني في سياقه الطبيعي.

- يعتمد على دراسة حالة واحدة لمجتمع صغير أو جماعة محددة.
- يحلل ويختبر ما يحدث واقعيا وفعليا دون الاعتماد على فرضيات مسبقة أو آراء.
- يستخدم المقابلات المتعمقة والملاحظة بالمشاركة لجمع البيانات والمعلومات.
- يستهدف جمع بيانات مكثفة في فترة زمنية ممتدة وطويلة.
- يربط البيانات والوقائع بالمفاهيم، ويستخلص النظريات والمعارف انطلاقا من الميدان.
- يربط النتائج المستمدة من دراسة مجموعة معينة بسياق أكبر.

## 2. الاثنوغرافيا في مجال الاعلام والاتصال:

### 1.2. لمحة تاريخية لظهور الاثنوغرافيا في دراسة الظاهرة الاتصالية والإعلامية

بدأت الدراسات الإعلامية في البداية تركز على دراسة المرسل ودوره في تنظيم وتكوين الرسالة الإعلامية، دون التطرق بالدراسة والتحليل للطرف الثاني وهو المتلقي، الذي تم تجاهله فيها، ولم تهتم به الدراسات الأولى لجمهور وسائل الإعلام التي كانت أساسا دراسات امبريقية كمية، فلم تبحث في اتجاهات فهمه وتفاعلاته مع المضامين الإعلامية وطريقة تأويله للرسالة الإعلامية.

انطلاقا من سنوات الثمانينات من القرن الماضي بدأ الاهتمام بالدراسات الاثنوغرافية في دراسة جمهور وسائل الإعلام، أين انتقل تركيز الباحثين من المرسل إلى المتلقي أو جمهور وسائل الإعلام، الذين تبين أن منهم الايجابي والنشط وآخرون سلبيون، ومنهم من ينتقي المضامين الإعلامية التي يتعرض لها حسب حاجاته ورغباته ودوافعه، مما دفع الباحثين للتركيز على المتلقي في ارتباطه وتفاعله مع الرسائل الإعلامية التي يتعرض لها، وعليه استدعت علوم الإعلام والاتصال المنهج الاثنوغرافي الأكثر قدرة على التحليل والوصف الكلي والشامل لفهم السلوك الاتصالي من خلال المشاركة المباشرة للباحث مع المبحوثين.(بلقبي، 2021، ص 44)

يعد **David Morley** من أول من اهتم بدراسة سلوك المتلقي من خلال الاقتراب الاثنوغرافي في دراسات الجمهور، وقام بدراسة حول الاستعمالات الأسرية للتلفزيون في منتصف الثمانينات، وطرح نموذج التفاعل والتأويلات لدراسة مفاهيم جديدة كسياق المشاهدة، الديناميكية العائلية، السياق المنزلي، وقام بدراسة تلقي 18 عائلة بريطانية من طبقات اجتماعية مختلفة، واعتمد متغيرات الجنس والسن والدخل كمتغيرات لدراسة التلقي ودعا إلى ضرورة فهم التكنولوجيا ليس فقط كنظام تقني ومادي وإنما كذلك كنظام اجتماعي وثقافي. وخلال اعتماده على المنهج الاثنوغرافي رصد **Morley** التفاعلات التي تحدث بين أفراد الأسرة الواحدة في سياق عائلي معقد بالممارسات والنقاشات الجماعية، بحيث تصبح الأسرة كوحدة تحليل جزئية من المجتمع، وعليه درس طريقة تعامل كل عائلة مع التكنولوجيات المنزلية ومختلف التأويلات التي تصاحب سياق المشاهدة. (04-**Millerand.1997 .p03**)

في ذات السياق، قامت الباحثة الاسترالية **Ien Ang** بدراسة لتحليل المسلسل التلفزيوني الأمريكي **Dallas** وقياس حدود المتعة المحققة لدى الجمهور المتلقي، واستنتجت الباحثة يان يانغ أن التلقي عبارة عن عملية نفسية وهو كذلك عملية ثقافية، لهذا عملية الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي للمعنى المتضمن في العملية الثقافية لا تخص المعنى ولكن تهدف لإظهار السلطة الموجودة بالرسالة. (حيزير، 2018، ص277)

يرى عالم الاجتماع **Michel De Certeau** أن الدراسات الإعلامية الكمية لجمهور وسائل الإعلام أو دراسات تحليل المضمون لم تكن كافية لتفسير الظواهر الاتصالية، كونها تركز على معالجة ظاهرة استخدام وسائل الإعلام خارج السياق الواقعي، كون المتلقي البسيط حسبه ينتج يوميا مجموعة من الابتكارات والإبداعات، لهذا دعا للتعمق في دراسة ظاهرة استخدام التلفزيون في سياقه الواقعي اليومي.

في ذات السياق، اهتم الباحث الأمريكي **James lull** بالدراسات الاثنوغرافية حول جمهور التلفزيون، وجمع دراساته الميدانية في مؤلفه " عالم العائلات، بحث اثنوغرافي حول جمهور التلفزيون" وتوصل من خلال المقابلات والملاحظات بالمشاركة التي أجراها في عدة أماكن في العالم(الهند، بريطانيا، ألمانيا، فنزويلا، والولايات المتحدة الأمريكية) لنتيجة مفادها أن الممارسات التلفزيونية امتداد للممارسات الثقافية اليومية والاتجاهات النفسية للمتلقي.(**Lull.1990**)

توجه الباحثون بعدها في الغرب إلى الدراسات الكيفية الاثنوغرافية بشكل متزايد، أين عرفت انتشارا واسعا بهدف تفسير السلوكيات والمواقف والتصرفات الصادرة عن الأشخاص في أوضاع إعلامية أو اتصالية مختلفة، غير أنه في البلدان العربية كان الاهتمام بها أقل رغم تسجيل عدد من الدراسات الاثنوغرافية، على غرار دراسة رضوان بوجمعة حول موضوع الأشكال التقليدية للاتصال في منطقة القبائل من خلال تبني مقاربة انتروبولوجيا الاتصال في تأطير البحث نظريا ومنهجيا.(بلقبي و سيفون، 2021، ص45).

### 2.2. العنوان الفرعي الثاني:

يعتبر البحث الاثنوغرافي من البحوث الكيفية أو النوعية، ويعرف كذلك باسم البحث التفسيري أو الحقلي أو الطبيعي، ويمكن التمييز بين نوعين أساسيين من الاثنوغرافية انطلاقا من خصائص وسائل الإعلام والاتصال وقدرة الباحث على الملاحظة الواقعية أو الافتراضية، حيث ساهمت خصائص الإعلام الحديث في ظل الويب 2.0 و 3.0 في قدرة الجمهور على توليد المعاني من خلال المحتوى الذي ينشرونه، أو من خلال تفاعلاتهم على الويب ومواقع التواصل الاجتماعي، وبهذا يستطيع الباحث الاثنوغرافي رصد استخدامات الجمهور المبحوث والبقاء والتفاعل بعمق معهم في الفضاءات الرقمية.

- **الاثنوغرافيا التقليدية (الكلاسيكية):** هي الاثنوغرافيا المستخدمة في انتروبولوجيا الاتصال، وهي تتطلب من الباحث تخصيص وقت كبير للمكوث في ميدان البحث.
- **الإثنوغرافيا الحديثة:** هي الاثنوغرافيا التي يقوم بها الباحث عبر المنصات الرقمية المختلفة وغرف الدردشة لدراسة تفاعلات المبحوثين، وهي عادة لا تتطلب مكوث جسدي للباحث في الميدان، وإنما مكوث افتراضي عبر الشبكات ولمدة أقصر من الدراسات الكلاسيكية.

هناك تصنيفات أخرى لأنواع البحوث الاثنوغرافيا على أسس أخرى، ومنها تصنيف كراسويل الذي حدد 07 أنواع للبحوث الاثنوغرافية:

- البحث الاثنوغرافي التقليدي.
- البحث الاثنوغرافي الذاتي.
- البحث الاثنوغرافي النسوي.
- البحث الاثنوغرافي السردي.
- البحث الاثنوغرافي لتاريخ الحياة.
- البحث الاثنوغرافي لتحليل الصورة(الصورة الفوتوغرافية، مقاطع الفيديو....)
- البحث الاثنوغرافي النقدي. (Creswell.2006.p59)

## 3. استخدام المنهج الإثنوغرافي في دراسة البيئة الاتصالية الرقمية:

### 1.3 دراسات الجمهور في ظل البيئة الاتصالية الرقمية (الاثنوغرافيا الرقمية)

كما سبق أن أشرنا ، فإن بروز الاثنوغرافيا جاء انطلاقا من الانثروبولوجيا الثقافية وأفكار مدرسة شيكاغو في عشرينيات القرن الماضي، وبدأ استخدامها في الدراسات الكيفية لجمهور وسائل الإعلام بداية من منتصف الثمانينات، وكانت أولى المحاولات لدراسات اثنوغرافية افتراضية أو رقمية في نهاية التسعينيات، وقامت كريستين هاين سنة 2000 بإجراء لقاءات أولية مع مجتمعات الانترنت، وشاركت فيها وراقبتها، ثم جاءت بعدها المقاربة الاثنوغرافية الرقمية لدانيال ميلر ودون سلاتر سنة 2000 كذلك من خلال زيارة مقاهي الانترنت ومشاهدة مستخدمي الانترنت وإجراء مقابلات معهم، كما صدر سنة 2012 كتاب الانثروبولوجيا الرقمية لهيذز هورست ودانيال ميلر، وبعده في سنة 2014 صدر كتاب علم الاجتماع الرقمي لديبورا لوبتون. (Willcox et al. 2023.p03)

عندما انتشرت الدراسات الأولى من اثنوغرافيا الإنترنت خلال التسعينيات، كانت البيئة الاجتماعية عبر الإنترنت تعتبر إلى حد كبير منفصلة عن "العالم الحقيقي"، لأن أجهزة الكمبيوتر كانت ثقيلة والاتصالات بطيئة، وكانت الموضوعات البحثية للاثنوغرافيا عبر الإنترنت في الأساس هي المجتمعات الافتراضية، التي تعرف بأنها "التجمعات الاجتماعية التي تنشأ من شبكة الإنترنت عندما يواصل عدد كافٍ من الأشخاص تلك المناقشات العامة لفترة كافية، مع شعور إنساني كافٍ لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية" (Airoldi.2018.p3-4).

كان في تلك الفترة مستخدمو الإنترنت يشكلون نسبة صغيرة ومتميزة من سكان العالم - أقل من 0.5% في عام 1995- ، وبعد عقدين أصبح سنة 2017 أكثر من نصف سكان المعمورة متصلين بالانترنت، وقد ساهم ظهور منصات الوسائط الاجتماعية والانتشار الواسع للهواتف الذكية في تحويل تجربة المستخدم الثابتة نسبيًا للويب 1.0 إلى تجربة متقاربة وتفاعلية ومتنقلة.

عموما، أصبح المشهد الرقمي "حقيقيًا" بشكل متزايد، فضلاً عن كونه معقدًا ومتباينًا داخليًا ، وقد أثرت هذه التحولات على البحوث الاثنوغرافية أيضًا، أين بدأ العديد من الإثنوغرافيين في التشكيك في ما يسمى بـ "الثنائية الرقمية"، حيث تصوروا العمل الميداني كمزيج من الملاحظات عبر الإنترنت وخارجها .

إن منصات ووسائل التواصل الاجتماعي وجماهيرها العابرة تشكل تحديات معرفية ومنهجية كبيرة للإثنوغرافيا عبر الإنترنت، وذلك في مقارنة "الأماكن" المحدودة على الإنترنت، مثل منتديات المناقشة، مع البيئة الرقمية لتويتر، أين تؤكد أليس مارويك بأن الأخير (تويتر ) موقع عام كبير، مما يجعل من الصعب ربط أو حتى تحديد من أو ما الذي يدرسه بالضبط، وعليه فإن جزءًا من مشكلة الانخراط في "إثنوغرافيا الهاشتاج" على تويتر هو أنه من الصعب تقييم سياق كلام وسائل التواصل الاجتماعي ، ومنه فالباحثون في مجال الإعلام والاتصال بحاجة ملحة لتطوير "اثنوغرافيا الإنترنت" قادرة على التعامل مع التشكيلات الاجتماعية بخلاف المجتمعات الافتراضية المحدودة (Airoldi.2018.p-4).

الملاحظ في البدايات الأولى للاثنوغرافيا الرقمية تركيزها على كيفية التواصل البشري من خلال التقنيات الرقمية، وعدم وضوح الإشارات الاجتماعية والتفاعل مع أشخاص دون معرفة هويتهم والبحث في كيفية تشكيل الهوية والنظام الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية، بمعنى أن الدراسات الاثنوغرافية الرقمية بدأت التركيز على كيفية حدوث التنشئة الاجتماعية في المجتمعات والفضاءات الرقمية، في حين بدأت دراسات الجمهور تبحث في تفسير النصوص الإعلامية وتأثيرها، إلا أنه مؤخرا نلاحظ أن دراسات المجتمع الرقمي بدأت في الاندماج مع دراسات وسائل الإعلام في بيئة الوسائط الرقمية، إذ تقوم وسائل الإعلام المختلفة بإعادة إرسال مضامينها عبر الوسائط الرقمية. (Cruz & Ardeol.2013.p31)

تعرف الاثنوغرافيا الرقمية كذلك بالاثنوغرافيا على الخط، الاثنوغرافيا الافتراضية ويقصد بها طرق البحث على الانترنت التي تعتمد على أساليب البحث الاثنوغرافي لدراسة المجتمعات والثقافات التي تم إنشاؤها عبر التفاعل الاجتماعي عن طريق الحواسيب. وتعتبر المناهج الوصفية الافتراضية أحد الوسائل المنهجية لدراسة الشبكات الاجتماعية، وتعتمد على طرق مثل دراسة الحالة الافتراضية أو الاثنوغرافيا الافتراضية، وهي وسيلة مهمة لتحليل الشبكات ودراسة التجمعات في السياقات الافتراضية التي تكونت عبر الانترنت، وتكون وحدة التحليل في هذا المستوى الأفراد أو الجماعات، على أن تتم جميع المقابلات والمشاهدات والاستجابات عبر الانترنت من خلال أحد مواقع التواصل. (زكي، 2012، ص13)

### 2.3 خطوات المنهج الاثنوغرافي على الانترنت:

يعتبر عنصر إمكانية إخفاء الهوية التي تبقى افتراضية في البحوث الاثنوغرافية الرقمية عاملا مهما في تحقيق أهداف المقاربة الاثنوغرافية لدراسة الظواهر الكائنة في بيئتها الافتراضية، لأنه بإمكان الباحث الحصول على معلومات صحيحة ودقيقة من خلال المقابلات المتعمقة، فلا يتردد المبحوثون عن الإدلاء بمعلومات ولو كانت حساسة باعتبار أن هوياتهم الحقيقة مجهولة، على عكس الاثنوغرافيا التقليدية أين يتخوف المبحوث وقد لا يكون صريحا أو صادقا بما فيه الكفاية خوفا على سلامته ، أو حياءا أو غيره من الأسباب، و تتمثل خطوات البحث الإثنوغرافي التقليدي فيما يلي:

- **تحديد المشكلة.**
- **اختيار الموقع الميداني.**

- **تجميع المعلومات والبيانات والمعطيات حول الظاهرة المدروسة.**
- **تسجيل المعلومات وتوثيقها بدقة.**
- **تحليل البيانات.**
- **إعداد التقرير النهائي للبحث.**

هنالك بعض الإجراءات الإضافية التي يتوجب على الباحث القيام بها في حالة البحث الاثنوغرافي الرقمي والتي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

- **تحديد المجتمع الإفتراضي**: يحدد الباحث الموقع الذي يقوم بالدراسة الميدانية على مستواه، إلا أنه يواجه صعوبات الحصول على ترخيص للدخول لهذه المجتمعات الرقمية، من قبل أصحاب المواقع أو المشرفين على المجموعات الافتراضية.
- **التفاوض حول الوصول للمبحوثين**: يقوم الباحث بالسعي لتأمين إذن القيام بالبحث من المبحوثين أعضاء المجموعات الافتراضية، بتفسير أهداف بحثه، وهذا جانب من أخلاقيات البحث التي كانت تنقص المنهج الاثنوغرافي التقليدي –الباحث يرصد ويشاهد دون الاعتراف بصفته أو دوره- ، وفي البحث على الانترنت من حق المبحوثين الانسحاب في أي وقت من الدراسة.
- **الاتصال**: يشارك الباحث المبحوثين في عملية الاتصال خلال فترة جمع البيانات، من خلال الملاحظة بالمشاركة التي تكشف عن الحوادث اليومية التي يقوم الباحث بجمعها خلال القيام بالبحث.
- **مقابلات العمق الإلكترونية**: يجري الباحث مقابلات متعمقة مع المبحوثين من خلال استخدام وسائل الاتصال التي يراها مناسبة لاكتشاف المعاني الحقيقية التي يقدمها المشاركون في البحث.
- **إرجاع النتائج والتحليل إلى المجتمع:** تعتمد الاثنوغرافيا التقليدية والافتراضية أو الرقمية بعد إجراء المقابلات المتعمقة والتحليل إلى إرجاع الباحث للنظرية والنتائج إلى المشاركين للتعليق وإعادة الصياغة، وهو أمر مهم إن كان الهدف من البحث هو تلبية أهداف تخدم المجتمع. (بلقبي وسيغون، 2021، ص47)

### 3.3. أدوات جمع البيانات في البحث الإثنوغرافي الرقمي:

يعتمد الباحث على مجموعة من الأدوات التي تتناسب مع المقترب الاثنوغرافي من جهة وتتماشى مع طبيعة المجتمع الافتراضي الذي يبحث فيه من جهة أخرى، ويمكن تحديد الأدوات المستخدمة في جمع البيانات فيما يلي: (مكاوي وآخرون، 2021، ص617-621)

#### 1.3.3. الملاحظة بالمشاركة :

تسمى كذلك بالتدخل الوظيفي أو بالملاحظة غير المنتظمة، وهي أساس الدراسات الاثنوغرافية التقليدية والرقمية، أين يقوم الباحث بمعايشة الظواهر الاجتماعية في سياقها الطبيعي اليومي، وأن يكون الباحث جزءا من

المجتمع المدروس ليكون قريبا من المبحوثين ومعايشة واقعهم الطبيعي، وتستخدم لمشاهدة قبيلة أو أسرة أو جماعة بصفة مستمرة بهدف جمع معلومات مباشرة من أجل فهم ووصف وتفسير السلوكيات والمواقف.

يقع على الباحث أن يحقق القبول في المجتمع المدروس حتى يتحصل على معلومات موضوعية، لهذا تطرح إشكالية الدور الذي يتوجب عليه القيام به داخل المجموعة المدروسة حتى يحصل على مواقف وسلوكيات غير مصطنعة ومعلومات موضوعية، على أن يقوم بتسجيل تقارير يومية عن دراسته.

وتتجلى أهمية الملاحظة الاثنوغرافية في بحوث الإعلام والاتصال في معايشة الباحث للجمهور المستخدم لتكنولوجيا الإعلام والاتصال بصفة مباشرة ومستمرة في فترة الدراسة، وفي واقع معيشتهم الحقيقي (وسائل الإعلام التقليدية) أو الافتراضي الرقمي (وسائل الإعلام الجديدة)، كمعايشة الباحث للجماعات الافتراضية المتشكلة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.(إيمرسون وآخرون، 2010، ص136)

### 2.3.3. المقابلة الاثنوغرافية:

تعتبر من أهم وسائل جمع البيانات المعمقة والدقيقة في البحوث الميدانية، حيث يقوم الباحث الاثنوغرافي بلقاءات ومحادثات مباشرة أو غير مباشرة مع المبحوثين من أجل إيجاد تفسيرات لبعض البيانات التي تحصل عليها عبر الملاحظة بالمشاركة، وهي ليست محادثة عادية وإنما هي مقابلة يتم التحضير المسبق لمنهجيتها من قبل الباحث بالشكل الذي يوصله لتحقيق أهداف بحثه.
يمكن تحديد طريقتين لإجراء المقابلة بالمشاركة:

- **المقابلة الموجهة:** هي طريقة قليلة الاستخدام في البحوث الاثنوغرافية التقليدية، كونها تثير تخوف ونفور المبحوثين أثناء عملية طرح الأسئلة وتسجيل المعلومات، غير أنها مناسبة للدراسات الاثنوغرافية الرقمية لاعتبارات متعلقة بطريقة التواصل التي تكتنفها العبارات القصيرة والاختصارات، لهذا يجب على الباحث التحضير الجيد للمقابلات على الانترنت.

- **المقابلة غير الموجهة**: هي مقابلة تتمتع بالمرونة أين يتيح الباحث الحرية للمبحوثين للانتقال من موضوع لآخر أثناء حديثهم، ويشجعهم على التوسع في الحديث والتعبير عن أفكارهم معتقداتهم وآرائهم، ويمكن للباحث الاعتماد على الأجهزة الحديثة لتسجيل المعلومات في حالة اكتسب ثقة المبحوثين، أو أن يقوم بتسجيلها مباشرة بعد نهاية المقابلة. توفر المقابلة غير الموجهة معلومات دقيقة وتفصيلية وتضفي موضوعية أكثر للبحث لعدم تدخل الباحث بطرح الأسئلة الموجهة للمبحوثين. غير أنها تتطلب وقت طويل وتتخللها معلومات كثيرة لا تخدم البحث.

تواجه الباحث جملة من الصعوبات أثناء إجراء المقابلة، و يتوجب عليه مراعاة النقاط التالية:
- اختيار الأشخاص بدقة حسب قدرتهم على التحاور وصدقهم ومعرفتهم بشؤون الموضوع المبحوث.
- التحضير الجيد لأسئلة المقابلة بشكل يدفع المبحوث للتفاعل بايجابية مع الباحث، واختيار المكان والزمان المناسب اللذان يوفران الهدوء والراحة للمبحوث.

- احترام ومراعاة الحالة النفسية للمبحوث وعدم إجباره على الإجابة على الأسئلة أو التي يتفاداها أثناء المقابلة، مما قد يتسبب في نفور المبحوث وعدم رغبته في استكمالها.

يتعين على الباحث أن يجري عددا معتبرا من المقابلات، مما قد يسهم في الكشف عن الأفكار الخاطئة والمعلومات المغلوطة، كما يساهم في الحصول على معلومات غزيرة تخدم البحث.

### 3.3.3. طريقة الإختبارت النفسية ك

هي طريقة تستخدم عادة في الانثروبولوجيا الاجتماعية أثناء الدراسات الميدانية لبعض الاختبارات النفسية لتحديد خصائص شخصية أفراد مجتمع البحث، على غرار اختبار روشاخ، الذي يضم عشر لوحات يرسم المبحوث على كل منها صورة مكبرة لنقطة حبر يقذف بها على ورقة لتأخذ شكلا غير منتظم، ويطلق الشخص المبحوث ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وعلى أساس ما يقرره يمكن التوصل إلى تحديد بعض سمات شخصيته.(مكاوي وآخرون، 2021، ص621).

### 4.3. أهمية المنهج الإثنوغرافي في دراسة الظواهر الاتصالية والإعلامية في البيئة الرقمية

بدأ الاهتمام الاثنوغرافيا في الدراسات الإعلامية والاتصالية نتيجة عجز المناهج الكمية في تقديم فهم جديد ودقيق لهذه الظواهر، والحاجة إلى مقاربة مناسبة لدراسة مجتمعات تفاعلية مختلفة على غرار المجتمعات الافتراضية، كما أننا بحاجة لدراسة التفاعل بين أفرادها داخليا وانعكاساته على حياتهم الواقعية.

و تظهر أهمية الاثنوغرافيا في مجال الإعلام فيما يلي : (مكاوي، 2021، ص626)

- الاهتمام بالسياق الذي تتطور فيه تكنولوجيا الإعلام والاتصال على خلاف البحوث الكمية التي اهتمت بالنتائج الكمية والإحصائية، دون إعطاء الأهمية اللازمة للسياقات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بعمليات الاتصال.
- تعطي الاثنوغرافيا الباحث القدرة على فهم ثقافة الجماعات وكيفية تفاعلها مع وسائل الإعلام والاتصال، وذلك بمعايشة الباحث عن قرب لتلك الجماعات الثقافية والبحث في دور وسائل الإعلام الرقمية في تكوين تصوراتهم حول الهوية الخاصة بهم وتفاعلهم عبرها.
- يمكن المنهج الاثنوغرافي الباحث من مقاربة ظواهر الإعلام الجديد في مختلف أشكاله وسياقاته الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، على غرار دراسة اثنوغرافيا محتويات جرائد المواطنة الالكترونية، اثنوغرافيا الدردشة الالكترونية، اثنوغرافيا شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي، اثنوغرافيا استخدامات تكنولوجيا الإعلام والاتصال في المؤسسات الاجتماعية وتمثلاتها الفردية والجماعية لدى الأفراد ...إلخ.
- يعد المنهج الاثنوغرافي أنسب طريقة تمكن من رصد ووصف مختلف السلوكيات والمعاملات والتفاعلات في حالتها الطبيعية المتواجدة في سياق المجتمع الواحد أو الجماعات أو الأسرة الواحدة في تلقيها للرسائل الإعلامية أو تفاعلها عبر المجتمعات الافتراضية الرقمية، وعليه تمكن من الوصول إلى نتائج تعبر عن الواقع المدروس بالعمق والدقة المناسبين، وبالتركيز على مجمل التفاعلات بين الأفراد المبحوثين وعلاقاتهم مع التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال واستعمالهم لها.

- تقدم الدراسات الاثنوغرافية وصفا شاملا ومكثفا للظاهرة المدروسة، وتقوم على اشراك المبحوثين في الدراسة وتقديم وجهات نظرهم بفعالية للباحث الذي يكون ضمن عناصر مجتمع البحث. (عبد الكريم، 2011، ص33)

### 5.3. الانتقادات الموجهة للبحوث الاثنوغرافية الرقمية:

يواجه استخدام المنهج الاثنوغرافي في دراسة المجتمعات الافتراضية والرقمية العديد من الانتقادات من قبل منظرين وباحثين ويمكن الإشارة إلى أهمها: (كور-غيل و دوتا ، 2023،ص11)

- يرى بعض الباحثين أن هذا المنهج غير مكتمل، لأن الباحث لا ينتمي بحق لمجتمع المبحوثين و لا يتحصل على مراقبة حقيقة للطقوس الجسدية اليومية لهم، كما أن المنهج يعتمد على المقابلات مع المبحوثين داخل محيطهم وعليه تكون هناك رواية من منظور أحادي.
- يؤكد بعض الباحثين أن الوسائط الرقمية ليست كما ادعى كاستيلز (1996) أنها تغير الطريقة التي نعيش بها، ننام وننتج بها ونستهلك بها ونحلم ونقاتل بها وإنما هي مجرد توسع في حقائقنا الثقافية والاجتماعية.
- يعتبر بعض الانثروبولوجيين أن الاثنوغرافيا ملاحظات تتم وجها لوجه أي في العالم الحقيقي، وأن الانترنت ليست جزءا من العالم الحقيقي – تكوين وطبيعة العالم الافتراضي لا يمكن مقارنتها بكيفية سيرورة العالم الحقيقي-، وعليه فاستخدام الاثنوغرافيا عبر الانترنت لا يساهم في دراسة المجتمع في حالته الطبيعية والحقيقة.

### خـــاتمة:

تسيطر المناهج الكمية على دراسة الظواهر الإعلامية والاتصالية، في حين لا نجد استخداما للمناهج الكيفية إلا في حدود ضيقة للغاية، والمنهج الاثنوغرافي من المناهج الكيفية الذي يعرف استخداما قليلا في بحوث علوم الإعلام والاتصال، رغم تزايد الاهتمام به مؤخرا خاصة لدراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية في البيئة والمجتمعات الافتراضية.

إن الانتشار الواسع لتكنولوجيات الإعلام والاتصال في حياتنا اليومية انعكس على طبيعة العلاقات الاجتماعية والتفاعل والممارسات الاتصالية، مما يعطي ظواهر اتصالية جديدة في حاجة إلى وصف وتفسير، وهو الدور الذي اضطلعت به الاثنوغرافيا الرقمية التي تساهم في فهم الظواهر الاتصالية التي تجري في المجتمعات الافتراضية، وهي تعرف تناميا في الاهتمام من قبل الباحثين ويرتقب أن يزيد انتشارها في الدول العربية على غرار ما يحدث في البلدان الغربية، كما يتوجب على الجامعات زيادة الاهتمام بتدريس المناهج النوعية خاصة الاثنوغرافيا، التي من شأنها تقديم تفسير وتحليل أعمق للظواهر الاتصالية، وبشكل خاص في الفضاء الرقمي والمجتمعات الافتراضية.

**توثيق الهوامش والمراجع:**

**باللغة العربية:**

**أولا–الكتب:**

- ايمرسون، روبرت وآخرون، (2010)، **البحث الميداني الاثنوغرافي في العلوم الاجتماعية**، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- زكي، وليد رشاد ، ( 2012)، **نظرية الشبكات الاجتماعية من الايديولوجيا إلي الميثودولوجيا ,سلسلة قضايا استراتيجية**، ( القاهرة : المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني.
- زيتون، كمال ، (2006)، **تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها الكترونيا**، عالم الكتب القاهرة ،مصر.

**ثانيا –الدوريات والملتقيات**

- بلقبي، فطوم و سيغون، باية ، (2021)، **الاثنوغرافيا منهج حديث في الفضاء الاتصالي الجديد**، مجلة الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 13 رقم 1. ص ص 39-52.
- بن حسين ، عبد الكريم راشد ، (2011)**البحث النوعي**، مجلة المعرفة، العدد 150، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية.
- دهان، مريم ، (2017)، **المقاربة الإثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها تقنياتها، وعلاقتها بدراسات الجمهور**، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثامن، ج 1. ص ص 31-43.
- حيزير، رزيقة ،(2018)، **المنهج الإثنوغرافي واستخداماته في علوم الإعلام والاتصال**، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد الثاني عشر. ص ص269-284.
- مكاوي، علي و البكري ، فؤاد عبد المنعم و الدسوقي، هدى إبراهيم ، (2021)، **الاثنوغرافيا وآلية تشكيل المجتمعات الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي**، المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، العدد 22، ديسمبر 2021. ص ص 617-621
- قطيط ، عدنان محمد أحمد ، (2021)، **الاثنوغرافيا كمنهجية للبحث التربوي الكيفي، دراسة نظرية**، مجلة البحث التربوي، العدد 40، المجلد 01، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية بالقاهرة، مصر.
- كورقيل، ساتفيز و موهان جيوتي، دوتا ، (2023)، **الاثنوغرافيا الرقمية** ، ترجمة بن شراد محمد أمين، ص1-16https://www.researchgate.net/publication/320928917_Digital_Ethnography
- السلطان ، فهد بن سلطان ، (2015)، **المنهج الإثنوغرافي، رؤية بحثية تجديدية لتطوير واقع العمل التربوي**، عوين بتاريخ 13-02-2024 عبر : 14 http ://faculty.ksu.edu.sa/alsultanf

- **باللغة الأجنبية:**
- **أولا : الكتب:**

- Gomez , Cruz,Edgar & Ardeol , Elisenda . (2013). **Ethnography and the field in media(ted) studies: A practice theory approch**. westminster papers volume9 issue 3
- Lull , James . (1990 ). ***Inside Family Viewing : Ethnographic Research onTelevision's Audiences,*** Routledge, New York.

.

- **ثانيا: الدوريات والملتقيات:**

- Airoldi, Massimo.(2018).**Ethnography and the digital fields of social media**. International Journal of Social Research Methodology, 2018, https://doi.org/10.1080/13645579.2018.1465622
- Caliandro, Alessandro (2017), "**Digital Methods for Ethnography: Analytical Concepts for Ethnographers Exploring Social Media Environments**," *Journal of Contemporary Ethnography*, pp1–28, DOI: 10.1177/0891241617702960, http://journals.sagepub.com/eprint/SBMJXCV3kZnZbQgZvnwc/full.
- Willcox, Marissa, Rogers , Richard, Peute , Marije and Stanusch , Natalia. (2023). **Undertaking digital ethnography on and with Instagram**. SHS/MOST/DA/2023/PI/14 .p p 1-10.
- Miles,M,A, Huberman (1999). **Qualitative Data Analysis**. Thousand Oaks: Sage Publication.USA.